

بدل الاشتراك عن سنة
 ٨٠ في مصر والسودان
 ١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
 عن المدد ١٥ ملياً
 —
 اوعونات
 يفتق عليها مع الإدارة

المجلة

مجلة الأستاذ محمد عبد الوكيل والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المشؤل

أحمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ - ما بين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٥٥٨ « القاهرة في يوم الإثنين ١٨ ربيع أول سنة ١٣٦٣ - الموافق ١٣ مارس سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

١٦ - دفاع عن البلاغة

٨ - الأسلوب

كان سيد البلغاء محمد بن عبد الله (ص) يكره أن يجاوز الكلام مقدار القصد به؛ فقد تكلم رجل عنده فأطال، فقال له: « كم دون لسانك من حجاب؟ قال: شفتاي وأسنانى.. فقال له: الرسول: إن الله يكره الانبعاث^(١) في الكلام. فبُصر الله وجهه رجل أوجز في كلامه واقتصر على حاجته »

وقيل لإياس: « لا عيب فيك إلا أنك تطيل. قال: أخيراً تسمعون أم شراً؟ قالوا: خيراً. قال: فالزيادة في الخير خير. روى ذلك الجاحظ وعقب عليه بقوله: « وليس الأمر كما قال إياس؛ فإن للكلام غاية، ولنشاط السامعين نهاية. وما فضل عن مقدار الاحتمال، ودعا إلى الاستئصال والللال، فذاك الفاضل هو الهذر، وهو الخطل، وهو الإسهاب الذى سمعت الحكماء يعميونه^(٢) »

وكان أمراء النثر العربى من أمثال جعفر بن يحيى وسهل ابن هرون يتوخون جانب القصد، ويؤثرون طريق الإيجاز، حتى قال جعفر للكتاب: « إن استطعتم أن تجعلوا كتبكم كلها توقيعات فافعلوا ». والتوقيعات ما يلقه الخليفة أو الوزير

(١) الانبعاث في الكلام: الاندفاع فيه. (٢) البيان والتبيين ص ١٠٦

الفهرس

- ٢٢١ دفاع عن البلاغة ... : أحمد حسن الزيات ...
- ٢٢٢ الحديث ذو شجون ... : الدكتور زكى مبارك ...
- ٢٢٥ عاورات الموتى ... : الكاتب الفرنسى برنار بوفيه
 بقلم الأديب يوسف ورشا
- ٢٢٧ مرسلات مع الريح : ... : الأستاذ إسماعيل مظهر ...
 « ياعدوى »
- ٢٢٩ الجمية لللكية ... : الأستاذ خيل السالم ...
- ٢٣١ مشأ عقيدة اليزيدية : ... : الأستاذ سعيد الديوه جى ...
 وتطورها
- ٢٣٢ فى « مجموع رسائل الجاحظ » : الأستاذ محمد طه الجاجرى
- ٢٣٦ نقل الأديب ... : الأستاذ محمد إسحاق النشاشيبي
- ٢٣٧ (١) أفاسيس من الفهوة .. : الأستاذ توفيق خبزة ..
 (٢) شطب قلب ...
- ٢٣٨ أبطال الاسلام ... : الأستاذ محمد عبد الفتى حسن
- ٢٣٩ الشعر الجديد .. : الأستاذ الكبير (١. ع)
- ٢٣٩ من الفلك القديم ... : الأستاذ قدرى حافظ طوقان

أو الرئيس على ما يقدم إليه من الكتب في شكوى حال أو طلب نوال . وهي تجرى مجرى الأمثال في الجمع بين الإيجاز والجمال والقوة . مثل ذلك ما وقع به المأمون إلى الرستمي في قضية من نظم منه : « ليس من الروءة أن تكون آنتك من ذهب وفضة وغريمك خاور وجارك طاور » . وما وقع به جعفر في كتاب رجل شكأ إليه بعض عماله : « قد كثر شاكوكك ، وقل شاكروك ، فأما اعتدلت ، وإما اعتزلت »

كذلك كان أقطاب النثر الفرنسي من أشباه (شاتريان) و (فلوير) يتشددون في الإيجاز ، ولا يتسمجون في الإعادة ، حتى حرّموا على أنفسهم استعمال اللفظ مرتين في صفحة واحدة . وقد أخذ (فلوير) في إحدى رسائله على (شاتريان) أنه كرر لفظاً مرتين في وصفه قدوم (أودور) إلى روما في كتابه « الشهداء » . ومن كلام (بوالو) : يجب أن تعرف كيف توجز ، لتعرف كيف تكتب . ونفور نوابغ الكتاب من الإسهاب منشؤه فيهم تلك القوة البلاغية الإلهمية التي تحدد الغاية وتريد أن تبلغها من أخصر طريق . فهم لا يلغون لأنهم يملون المعنى الذي يفيد ، ولا يخشون لأنهم يعرفون اللفظ الذي يدل ، ولا يخجيطون لأنهم يبصرون الأمد الذي يرام . أما الذي لا يقدرون ما يقولون ، أو لا يدرون أن يقصدون ، فهم الهائم على وجه المنحدر قصاراه زبدٌ وجرجرة ، أو كاللسان يبول نطقه لقط وثرثرة .

وثرثرة اللسان كقرقرة البطن أصوات تذهب مع الريح والإيجاز في بلاغة العربية كما قلنا أصل وروح وطبع ، ولكنه في البناء قوة وروية وعمل . وزيد بالعمل الجهد ، لأن الإيجاز غريبة ومخل ، وتنقية وتصفية ، وتصعيد وتركيز . وذلك لا ينهيا لك إلا بدوام النظر وطول التمهيد . ومهما قلبت الجملة على وجوه البيان فإنك لا محالة واجد فيها عوجاً يمدل ، أو نقوءاً يسوّى ، أو فضولاً يشذب . والنثر في رأى فلوير لم ينهه ، وهو في رأينا لا يمكن أن ينتهى ، لأن صور الجمال لا تنهد ، وغاية الكمال لا تُدرك .

والمزية الظاهرة للإيجاز على الإطناب أنه يزيد في دلالة الكلام من طريق الإيجاز . ذلك لأنه يترك على أطراف المعاني ظلالاً خفيفة يشتغل بها الدهن ، ويعمل فيها الخيال ، حتى تبرز وتتلون

وتتسع ، ثم تتشعب إلى معانٍ آخر يتحملها اللفظ بالتفسير أو بالتأويل ، والقرآن الكريم معجزة الدهر في هذا الصدد وليس بسبيل الإيجاز البلاغى من يقص أجنحة الخيال ويطوق ألوان الحسن ، ويترك أسلوبه كأسلوب التلغراف ، شديد الاقتضاب والجفاف ، على نحو ما يدعو إليه بعض أدبائنا المعاصرين ؛ فإن الإيجاز ، مهما قيل في جلالة خطره ، صفة من صفات البلاغة الثلاث لا يفنى عنها ولا تنفى عنه

ولقد كان لإطناب الفرس مساع في أذواق العرب أول ما قطرت به أقلام عبد الحميد وابن المقفع والحسن بن سهل ومن لف لفهم ، لاقتصارهم منه على ما يصحح الازدواج ويقيم التوازن ، كقول عبد الحميد : « واعلم أن كل أهوائك لك عدو يحاول هلكتك ، ويفترص غفلتك ، لأنها خدع إبليس ، وخواتل مكره ، ومصايد مكيدة ، فاحذرها مجانبا لها ، وتوقها محترسا منها ... الخ » . فلما اشتد خلاط العرب للفرس تداخلت اللغتان ، وتمازجت المقلمتان ، وأصبح تقاب الجمل على المعنى الواحد سمعة الأسلوب في ذلك العصر ، حتى قال ابن قتيبة في قول يزيد لمروان وقد تلصقاً في بيئته : [أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى فاعتمد على أيهما شئت] : « إن هذا لوقيل الآن لم يأت بالتأثير المطلوب . والصواب أن يطيل ويكرر ، ويميد ويبيد ، ويحذر وينذر » وظل الفن الكتابي يتخبط في ذلك الفضول ، ويتمتع في تلك الديول ، لا يسدده توجيه ، ولا يهذبه نقد ، حتى اتصل بالأدب الأوربي في هذا العصر ، فتحدد لفظه ، وتجدد أسلوبه ، وانبعث شبابه الفتى الفنى الغض من الترائخ الوهوبة ، صافى الديقاجة مشرق البيان ، إلا عقابيل مما تركت عصور الضعف والجهالة بقيت على الأقلام المرصوفة تكريراً للفظ ، وترديداً للمعنى ، وتوليداً لأنواع آخر من أنواع الاجترار الأدبي يعبر عنه الأدب زكريا إبراهيم فيما كتب إلى بقوله :

« شاع بين أدبائنا اليوم نوع جديد من الأدب ، نستطيع أن نسميه بحق أدب (المردشة) . وهذا الأدب الجديد يصدر عن نزعات فنية حديثة ، لأنه كلام يقال ليجرد الكلام ،

محمد الزاوي